قـراءة علميّة فـي كتاب

إعداد: إدارة التحرير

بطاقة الكتاب:

- **اسم الكتاب:** الإسلام والعلم
- **اسم المؤلّف:** مظفّر إقبال
- **بيانات النشر:** أشغيت - لندن، 2004م، (372 صفحة من القطع الوسط).

في سياق الجدل الدائر على دور الإسلام وموقعه في التحوّلات العالميّة التي رافقت الدخول في القرن الواحد والعشرين، صدر في بريطانيا كتاب بعنوان: «**الإسلام والعلم**».

يدور فحوى الكتاب الذي ألّفه الباحث الباكستانيّ المسلم المقيم في لندن، حول ازدهار العلم ودوره في الحضارة العربيّة الإسلاميّة في الفترة التاريخيّة الممتدّة من القرن الثامن الميلاديّ وحتى القرن الثاني عشر. ويُقرّر المؤلّف أنّ الحركة العلميّة في خلال القرون الأربعة المشار إليها جعلت الحضارة الإسلاميّة مركز العالم، بينما كانت أوروبا تستغرق في ظلمات القرون الوسطى. ويُشير المؤلّف عبر أكثر من فصل في كتابه إلى أنّ العرب والمسلمين أنجزوا ترجمة علم الإغريق في مجال الفلسفة والمنطق

والشعر والميتافيزيقا وسواها من العلوم. ولا سيما العلوم التطبيقيّة في مجال الطبّ والهندسة والفلاحة. يقول المؤلّف: «إنّ العلم العربيّ الذي صيغ بطريقة جديدة ومبدعة، ثمّ انتقل إلى أوروبا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر عن طريق الترجمات إلى اللغات الإنكليزيّة والإسبانيّة واللاتينيّة... إنّ مثل هذه العلوم أخذها الغرب ليبني عليها نهضته المقبلة التي أوصلته فيما بعد إلى عنان السماء وأعماق الفضاء. صحيح أنّ العلم العربيّ سابق على الثورة العلميّة التي ظهرت في القرن السابع عشر على يد غاليليو، وكبير، وديكارت، ونيوتن، ولكنّه هو الذي مهّد لها الطريق».

وفي هذا المضمار يُلاحظ المؤلّف أنّ هذه الحقيقة غالباً ما يتناساها المؤرّخون عندما يتحدّثون عن تلك الفترة. ولكن بعضهم - كما يقول - أصبح - الآن - موضوعيّاً في تقويمه لتلك المرحلة من التطوّر، ويقبل بالاعتراف بمديونيّة أوروبا للعلم العربيّ والفلسفة العربيّة كذلك. غير أنّ ذلك لا يعني أنّه لم يظهر في الغرب الإسلاميّ في إطلاق نهضة أوروبا. ويستدلّ على ذلك من خلال أعمال عدد من المستشرقين المستعربين، وخصوصاً في مجال الفلسفة والتصوّف؛ مثل: لويس ماسينيون، وهنري كوربان، وسواهما.

ويعرض المؤلّف في فصل خاصّ إلى الكيفيّة التي حصلت فيها انطلاقة العلوم العربيّة باتّجاه الغرب. ويشير في هذا الصدد إلى أنّ هذه الانطلاقة بدأت من بغداد في بداية القرن التاسع الميلادي أو الثالث الهجري. ففي تلك الحقبة كانت عمليّة الترجمات الكبرى من اليونانيّة إلى العربيّة قد بدأت. ويواصل المؤلّف تحقيق الحركة العلميّة للعرب والمسلمين ولا سيما لجهة الترجمة والتعريب. ففيما يتعلّق بعلم الرياضيات -مثلاً- كان لعلماء؛ من أمثال: ثابت بن قرة (توفي عام 901م) دور مهم وبارز في إظهار هذا العلم وتجليته وتدوينه.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الحاجة كانت -أيضاً- فاعلة في الميدان العمليّ والتجريبيّ. وبالتحديد في مجال قياس الأراضي وصناعة النظارات. ولكي

يتفقّهوا حركة الكواكب والنظام الهندسيّ للكون، فكان عليهم استخدام علوم الجبر والهندسة وسواهما. وكان هؤلاء المترجمون - كما يُلاحظ المؤلّف - يشتغلون في مركز كبير جرى تأسيسه في بغداد بقرار صدّره المأمون، وسمّي بـ «**بيت الحكمة**». ومن أهمّ علماء الرياضيّات وأبرزهم في تلك الحقبة من التاريخ العربيّ الإسلاميّ: محمد بن موسى الخوارزميّ الذي وضع كتاب «**الجبر والمقابلة**» في الفترة الواقعة بين أعوام (813 و 830م) والمعروف عن كتاب الخوارزميّ هذا أنه أوّل منجز علمي يؤسّس لعلم الجبر ويُفصّله بشكل ميّزه عن سائر العلوم الرياضيّة. إنّ هذا يعني، بما لا يدع أيّ مجال للشكّ، أنّ العرب المسلمين هم الذين وضعوا الأسس الأولى لعلم الجبر، حتى إذا جاء الأوروبيّون ليترجموه سيُشكّل بالنسبة إليهم النواة التأسيسيّة لأحد أهمّ عوامل نهضتهم العلميّة اللاحقة.

وإلى هذا النوع العلميّ الذي أخذه الغربيّون عن المسلمين يتحدّث المؤلّف عن علم البصريّات، حيث راحوا يترجمون أمّهات الكتب اليونانيّة عن هذا العلم، ثمّ ليُضيفوا إليه إبداعات جديدة جعلته ميداناً للتطوّر اللافت في ذلك العصر. ويذكر المؤلّف في هذا الصدد اسم العلامة اسحق بن حنين الذي ترجم «**كتاب إقليدس**» في علم البصريّات، وكذلك «**كتاب بطليموس**» في العلم نفسه. وإلى هذه المنجزات قام الفيلسوف العربيّ المعروف الكنديّ (توفي عام 873م) بتأليف عدد من الأسفار العلميّة التي لا تزال تُشكّل ركيزة مرجعيّة في المكتبات الكبرى في الغرب الأوروبيّ.

ويكتسب كتاب مظفّر إقبال أهمّيّة خاصّة؛ لأنّ مؤلّفه مسلم ويحمل الجنسيّة البريطانيّة ويُدرّس في جامعات لندن، وهو يسعى إلى إبراز حقيقة تاريخيّة أمام الرأي العامّ الغربيّ الذي يعيش اليوم تحت ضغوط هائلة من تشويه الإسلام وتاريخ العلم.